جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

وصف المجتمع في شعر يحيى بن الحكم الغزال

الدكتور

نايف عبدالله الحازمي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة نجران
المملكة العربية السعودية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء العاشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

وصف المجتمع في شعر يحيى بن الحكم الغزال

نايف عبدالله الحازمي

قسم الأدب والنقد - بجامعة نجران - المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني: naefelhazmy@yahoo.com

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تكوين رؤية علمية واضحة عن مدى قدرة الأديب على مواكبة قضايا مجتمعه، كما تكشف عما للأدب من أهمية في معالجة السلوكيات الاجتماعية، وتعرية أدواء الحياة الواقعية ومخضها في أسلوب أدبي رفيع. وتهدف هذه الدراسة إلى الإبانة عن رؤية الشاعر يحيى بن حكم الغزال لمجتمعه، و وصفه، وتصويره له، وذلك من خلال ما بقي لنا من شعره. وقد اعتمدت في بحثي المنهج الاجتماعي في دراسة علاقة الشاعر بمجتمعه، واستعنت بالمنهج النفسي والنصي ، كما جعلت البحث في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أما التمهيد فكان في لمحتين، أولاهما عن حياة الشاعر، والثانية عن العصر الذي عاش فيه الشاعر، وأما المبحث الأول فقد خصصته لدراسة أنماط وصف المجتمع لدى الشاعر، وقسمته إلى ثلاثة أنماط: كان النمط الأول عن الوصف المشوه، والوصف المجرد هو النمط الثاني، والنمط الثالث: وصف الأحداث المعنوية(الشيب والكِبَر) نموذجا ، وخصصت المبحث الثاني لدراسة موقع اللغة في وصف المجتمع، ودرست فيه الألفاظ، ووضحت ما يتعلق بالأساليب.

الكلمات المفتاحية : المجتمع، الوصف، المرأة، الشيب، الشعر

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Description of society in the poetry of Yahya ibn al-Hakam al-Ghazal

Nayef Abdullah Al-Hazmi
Department of Literature and Criticism - Najran University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: naefelhazmy@yahoo.com

Abstract

This study seeks to create a clear scientific vision about the capability of the writer on keeping up with his society's issues. It also reveals the importance of literature in addressing social behaviors and exposing real life aliment and put it into fine literature. This study aims to display the poet Yahya ibn el-Hakem el-Gazel vision of his community and his description and portrayal of it through what we have left of his poetry. In my research I adopted the social approach in studying the relationship of the poet with his society. In addition, I used the psychological and textual approach. The research is made of a preface, two articles and conclusion. As for the introduction, it has two glimpses. The first was about the poet's life, the second was about the era in which the poet lived. The first topic was assigned for studying the patterns of describing society of the poet and I divided it into three patterns: the first pattern was about disfigured description and the second was plain description and moral events (being old and gray) as a model. As for the second topic, it was assigned for studying the position of language in describing the society plus studying the expressions and also explaining the methods which is used.

Keywords : Society, description, women, gray hair, poetry

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

امتد الحكم الإسلامي للبلاد الأندلسية لأكثر من ثمانية قرون، وتعاقب على حكم تلك البلاد عدد من الدويلات الإسلامية بداية من عهد الولاة عام٩٢هـ - ٢٣٨هـ إلى سقوط دولة بني الأحمر في غرناطة عام ٨٩٨هـ، وكانت هذه الفترة كفيلة بإنجاب حضارة إسلامية عظيمة، في جميع مناحي الحياة، كما أبرزت تلك الفترة عددا من العلماء، والأدباء الأفذاذ الذين سطروا بأقلامهم ما أنتجته أفكارهم، فظهرت لنا تلك الحياة الأندلسية في لوحة مرئية.

ولقد شغفت- منذ صغري- بقراءة ما أستطيع قراءته عن تلك الدُّرة الحضارية(الأندلس)، والتوق إلى سماع كل ما يدور حولها، ولعل ولعي الشديد بالاستزادة من ذلك هو ما دفعني إلى اختيار هذا البحث.

وتهدف هذه الدراسة إلى الإبانة عن رؤية الشاعر يحيى بن حكم الغزال لمجتمعه، ووصفه، وتصويره له، وذلك من خلال ما بقي لنا من شعره.

وقد اعتمدت في بحثي المنهج الاجتماعي في دراسة علاقة الشاعر بمجتمعه، واستعنت بالمنهج النفسي في دراسة علاقة أسلوبه بأدبه، وكان للمنهج النصي حضور واضح خصوصًا في المبحث الأول الذي يتعلق بدراسة اللغة.

كما جعلت البحث في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أما التمهيد فكان في لمحتين، أولاهما عن حياة الشاعر، والثانية عن العصر الذي عاش فيه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشاعر، وأما المبحث الأول فقد خصصته لدراسة أنماط وصف المجتمع لدى الشاعر، وقسمته على ثلاثة أنماط: كان النمط الأول عن الوصف المشوَّه، والوصف المجرد هو النمط الثاني، ووصف الأحداث المعنوية (الشيب والكِبَر) نموذجًا ، هو النمط الثالث، وآثرت الدراسة التحليلية الموضوعية في هذا المبحث لأنها الأنجح في رأيي.

وخصصت المبحث الثاني لدراسة موقع اللغة في وصف المجتمع، ودرست فيه الألفاظ من حيث غرابتها وإلفها، وكذلك التراكيب من حيث طولها وقصرها، والإيقاع الداخلي فيها، والنمط الثالث: وضحت فيه ما يتعلق بالأساليب من جمل خبرية، وإنشائية، وما وجد فيها من تضاد، وتضمين، واقتباس.

ولم أصادف ولله الحمد في إنجاز هذا البحث أية مشكلات إلا شحًّا في المادة المقصودة بالدراسة، وقد تغلبت بفضل من الله على ذلك.

وعن الدراسات السابقة فإني لم أعثر إلا على ع دراسة واحدة عنوانها (يحيى بن حكم الغزال، حياته وشعره) للباحث محمد علي صادق غميض، وهو باحث تونسي. ولم أتمكن من العثور على نسخة منها.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدَّم لي من إضاءات أنارت طريقي في إنجاز هذا البحث.

والحمد لله رب العالمين...

د. نايف عبدالله الحازمي

تمهيد

أ/ لمحة عن حياة الشاعر:

الغَزَال: يحيى بن حكم (١٥٦-٢٥٠هـ = ٧٧٣-٨٦٤م)

يحيى بن حكم[١] أو ابن الحكم البكري الجيَّاني، المعروف بالغزال، شاعر مطبوع، من أهل الأندلس، امتاز نظمه الجيد الحسن بالفكاهة، المستملحة، وكان جليل القدر، مقربًا من أمراء الأندلس وملوكها من بني أمية، أرسله بعضهم رسولًا إلى ملك الروم، وعرَّفه ابن دحية بشاعر عبدالرحمن بن الحكم بن هشام، ووصفه بحدة الخاطر، وبديهة الرأي، وحسن الجواب والنجدة، والإقدام، و" الدخول والخروج من كل باب"[٢].

ومن أبرز الحوادث في حياة الغزال سفارته عن الأمير الأندلسي، وقد قال ابن سعيد إنه ذهب إلى ملك القسطنطينية، وأول من دوَّن خبر هذه الرحلة هو تمام بن علقمة، معاصر الغزال في تاريخ ألَّفه له[٣].

ولد الغزال سنة ست وخمسين ومائة للهجرة، في إمارة عبدالرحمن بن معاوية، وعاصر خمسة عهود من حكام بني أمية بالأندلس، فقد عاش بقية إمارة عبدالرحمن الداخل، ثم إمارة هشام بن عبدالرحمن، ثم إمارة الحكم بن هشام، فإمارة عبدالرحمن الثاني بن الحكم، ومات في إمارة الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة خمسين ومائتين للهجرة.

---

(١) انظر: جذوة المقتبس، للحميدي، ص٣٧٤.

(٢) انظر: الأعلام للزركلي، ٨/١٤٣،١٤٢.

(٣) انظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص١٦١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نشأ الغزال كما كان ينشأ أبناء عهده، في بادئ أمره كان يذهب إلى حلقات العلم، ويحضرها بإصغاء وانتباه، حتى كان له مدخل كبير في علوم الدين، واللغة، والأدب، ومن ثم عرف ميله إلى الشعر، وتعلقه به، ونمت معه هذه الموهبة، وقويت لديه تلك الملكة. وامتدت حياته ما بين ١٥٦هـ - ٢٥٠هـ وقد عاش أربعًا وتسعين سنة(١).

له ديوان شعر مطبوع حققه: د. محمد رضوان الداية.

ب/ لمحة عن الحياة الاجتماعية في عصر الشاعر:

كان المجتمع الأندلسي- في هذه الفترة- خليطًا من أجناس مختلفة؛ فبالإضافة إلى العرب والبربر الذين شاركوا في الفتح الإسلامي، أو هاجروا بعده، كان هناك سكان الأندلس الأصليون (الإسبان) " وقد أصبحوا- بعد الفتح- طوائف مختلفة، فمنهم من بقي على دينه ولغته، فعرفوا بعجم الأندلس، وهؤلاء لم يكن لهم أثر في المجتمع الأندلسي، ومنهم المولدون: وهم من ولدوا من أباء عرب وأمهات إسبانيات، ومنهم من دخلوا في الإسلام وعرفوا بالمسألة..."(٢).

ومما عرف عن المجتمع الأندلسي الميل إلى الفنون، والآداب، والغناء، والموسيقى، والرقص، إذ شاعت مجالس الهوى، والطرب في الأندلس وانتشرت نوادي الرقص، والسمر في كثير من المدن والقرى(٣).

(١) بتصرف من كتاب: الشعر الأندلسي في ظلال الخلافة الأموية، ص٣٠٩-٣١٠.
(٢) الشعر الأندلسي في ظلال الخلافة الأموية، ص٤٩.
(٣) المرجع السابق: ص٦٧.

وعلى النقيض تماما فقد اشتهر المجتمع الأندلسي بالرغبة الملحة والإقبال الشديد على طلب العلم، والتعلق بالآداب، وحب العلوم، وعلو الذوق، ودقة الإدراك، وانتشار الثقافة والمعرفة(١).

وإلى جانب ذلك فالمجتمع الأندلسي كسائر الشعوب له صفاته الخاصة التي تميزه، وتكشف عن طباعه، وأخلاقه، ومألوف عاداته ومن أهم صفاته، وعاداته: حب النظافة، وكراهية التسول، وحسن التدبير(٢).

(١) بتصرف من المرجع السابق: ص٦١.

(٢) ينظر: الأدب العربي في الأندلس بتصرف: من ص١٤١إلى ص١٤٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

أنماط وصف المجتمع لدى الشاعر

- **الوصف المشوه للمجتمع**:

يعد الوصف الشعري- بشكل عام- ذا أهمية كبرى، إذ هو الرسم بالكلام الذي ينقل مشهداً حقيقياً، أو خيالياً للأحياء، أو الأشياء، أو الأمكنة، من خلال رؤية موضوعية، أو ذاتية، أو تأملية.

وهو كالمرآة التي لا يستغنى عنها أي مجتمع من المجتمعات في الاستخدام اليومي لرؤية الأشياء بدقة ووضوح تامين.

والتأمل بعين فاحصه في شعر (الغزال) من خلال ديوانه، وما حوته الكتب من قصائد متفرقة له، لا يجد وصفه لمجتمعه يقود إلا إلى صورة قاتمة "مشوهة" ولقد عكس لنا شعره صورة سوداوية عن المجتمع الذي كان يعيش فيه.

ولعل شخصيته الساخرة، وأسلوبه المتهكم، ونزعته الأقرب إلى التشاؤم، وسوء الظن، هي من دفعته إلى إخراج صورة سلبية عن مجتمعه (وهذه الفلسفة هي التي جعلته يرى العلاقة الاجتماعية شيئًا شبيهًا بعلاقة القط، والفأر، والثعلب والدجاج[١]) في قوله: [من الخفيف]

لا وَمَن أَعمَلَ المَطايا إِلَيهِ ... كُلُّ مَن يَرتَجي إِلَيهِ نَصيبا

ما أَرى هَهُنا مِنَ الناسِ إِلّا ... ثَعلَباً يَطلُبُ الدَجاجَ وَذيبا

(١) انظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص١٦٧.

أَو شَبيهاً بِالقِطِّ أَلقى بِعَينَيـ ـهِ إِلى فَأرَةٍ يُريدُ الوُثوبا [١]

وهو لا يرى من الناس حوله إلا مرائيًا، لا يثبت على مودة، يخدع الناس بتلونه ألوانًا مختلفة كما في قوله: [من مجزوء الرمل]

ومـــراء أخذ النا س بسمـــت وقطوب
وخشوع يشبه السُّقـ ـم وضعف في الدبيب
قلت هـل تألم شيئا؟ قـال: أثقال الذنوب
قلت: لا تعـن بشيء أنت في قـالب ذيب
إنما تبني على الوثـ ـبة في حين الـوثوب
ليس من يخشى عليه منك هـذا بلبيب[٢]

والقطعة – على قصرها، دالة– مركزة، تظهر فيها سخرية الغزال ممن يدعون التقوى والزهد لأغراض دنيوية ، و تظهر في القطعة قدرته الفائقة على تناول الأمور الاجتماعية من باب الهزء، والإضحاك.

كما تظهر الشخصية التشاؤمية، السيئة الظن بالآخرين في قوله: [من الوفر]

إذا أخبرت عن رجل برئ من الآفات ظـاهره صحيح
فسلهم عنه: هل هو آدمي؟ فإن قالوا: نعم، فـالقول ريح
ولكن بعضنا أهـل استتار وعند الله أجمعنـا جـريح

(١) انظر: ديوان الشاعر، ص٣٢.
(٢) انظر: ديوان الشاعر، ص٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن إنعام خـــالقنا علينا بأن ذنوبنا لـــــيست تفوح(١)

وهو لا يرى- أيضًا- إلا فاسداً في صنعته، غير مستحق للمكان الذي هو فيه كما في قوله يهجو القاضي" يخامر"(٢) [من الطويل]

فقلت له كـــلفتـــني فوق صنعتي كما قلدوا فـــصل القضاء يخامرا

فأصبح قد حارت بـه طرق الهوى يكابد لجيّا مـــــن البحر زاخرا

فقلت: لو استعفيت منها فقال لي: سـأفضح ما قد كـــان منك مغايرا

فقلت له: رأس الفـــضوح إقامة علينا كذا من غير علـــم مكابرا

وخبطك في دين الإله عـــلى عمى خباصة سـكران تكلَم ســـــادرا

فلن تحمل الصخر الذباب ولن ترى السـلاحف يُزجين السَّفين المواخرا(٣)

ونلاحظ أنه يتهكم على القاضي" يُخامر" ويصفه بأنه تقلـد المنصـب الذي لا يستحقه، وينصحه -بأسلوب ساخر- بأن يستقيل من ذلك المنصب؛ لأنه ليس أهلًا له، ولا علم له بالكتاب والسنة، بل ليس لـه درايـة بسـور القرآن، ومن شدة جهله أنه إذا قرئت عليه يحسبها شعرا، كما فـي قولـه: [من المجتث]

لـقد سمعتُ عجيبا من آبدات يُخامـــر

قرا عليه غـــلام (طه) وسورة (غافر)

(١) المصدر السابق: ص٤٣.

(٢) يخامر بن عثمان الشبعاني من أهل قرطبة، استقضاه الأمير عبدالرحمن بن الحكم بعد إبراهيم بن العباس القرشي ثم عزله. انظر: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس:٢/ ٢١٠.

(٣) ديوان الشاعر: ص٥٠.

فقال: من قال هذا؟ هذا لعمري شـــــاعر

أردت صـــفع قفاه فخفت صـــــولة جائر(١)

وكما أنه لا يرى الناس من حوله إلا مرائيًا، أو فاسدًا متوليًا غير مـــا يستحق، فإنه لا يرى- أيضا- إلا فقيهًا مترفًا قد استغل نفوذه المعنوي فـــي جمع المال، إذ يقول: [من الخفيف]

لـــست تلقى الفقيه إلا غنيا ليت شـــعري من أين يستغنونا؟

نقطع البر والبحار طلاب الرَّ زق، والقوم ها هنا قـــاعدونا

إن للقوم مَضرِبًا غـــاب عنا لم يـــصب قصدَ وجهه الرَّاكبونا(٢)

وللمرأة نصيب وافر من سخرية الشاعر، فقد أبرزها في أبشع صورة؛ فهي – في نظره- غشاشة، ماكرة، مخادعة، وماهي إلا سرج للتـــداول، أو خان يتعاقب عليه النازلون، أو ثمرة يأكلها أول من يمر بها، يقول: [مـــن الكامل]

إن النساء (لكالسروج)(٣)حقيقة فالسِّرج سرجُك ريثما لا تنزل

فإذا نزلـــت فإن غـــيرك نازلٌ ذاك المكان وفـــاعل ما تفعل

أو منزلُ المجتـــاز أصـــبح غاديا عـــنه وينزلُ بعده من ينزل

أو كالثمار مباحـــة أغـــصانها تـــدنو لأولِ من يمرُّ فتؤكل

أعط الشـــبيبة لا أبا لك حـــقها منها فـــإن نعيمها متحول

(١) ديوان الشاعر، ص٥١.

(٢) المصدر السابق، ص٧٧.

(٣) لم ترد في الديوان، ووردت في نفخ الطيب، ص٢٥٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإذا سلبت ثيابها لـــم تنتفع عـند النساء بكـــل ما يُستبذل(١)

ولا شك أن الشاعر صور العلاقة بين الرجـل والمـرأة فـي صـورة بهيمية، خالية من المشاعر، والعواطف، بعيدة كـل البعـد عـن المشـاعر الإنسانية النبيلة.

كما يرسم لنا الشاعر صورة(كاريكاتورية) تظهر فيهـا المـرأة فـي صورة عجيبة رهيبة، فبالإضافة إلى الأوصاف الجسدية المقززة التي تظهر فيها، فإنها كثيرة الثرثرة، واللوم، لا تكل ولا تمل من الإلحاح على الطلبـات إذ يقول:[من البسيط]

جرداء، صلعاء، لم يبق الزمان لها إلا لـــــــسانا مُلحّاً بالملامات

لطمتها لطمة طارت عـــمامتها عن صلعة ليس فيها خمسُ شعرات

كأنها بيضة الشـــاري إذا برقـت بالمـــأزق الضنك بين المشرفيّات

لها حـروفُ نَوات فـــي جوانبها كـقسمة الأرض حيزت بالتُّخومات

وكاهل كـسنام العيس جـــرَّدها طـــول السِّفار وإلحاحُ القتودات(٢)

وأعزو ذلك إلى الشخصية الشاعر الساخرة، الميالة إلى الدعابة، أكثر منها إلى الجد. وقد تصل به شخصيته التشاؤمية، الجانحة إلى سوء الظـن بكل من يحيط به إلى النظر بعين الريبة في حقائق قد تكون واقعية، ومنهـا هذه الأبيات التي قالها في امرأة تدّعي حبَّهُ، وهو شيخ عجـوز، بأسـلوب حواري تتخلله الحكمة يقول: [من الكامل]

(١) ديوان الشاعر، ص٦٥-٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص٤٢.

قـــــالت أحبك! قلت: كاذبة ... غري بذا مـــــن ليس ينتقدُ

هذا كـــــــلام لست أقبـــله ... الشيخ ليس يحبه أحـــــــد

سيانُ قولك ذا، وقـــولك إنّ ... الريح نعقدهـــــــا فتنعقد

أو أن تقولي الـــنار بـــاردة! ... أو أن تقولي: المـــــاء يتّقد(١)

كمالا يفوت" الغزال" أن يعرِّج بشيء من سَخَطِه على أمور الدولة، وما كان يجري في شُرطِها، وسجونها من تعذيب، وقسوة فها هو يصف لنا أحد أولئك السجَّانين الذين لا يعرفون الرحمة، واسمه: عُمير " ونقل ابن حيـــان أن عميرًا هذا كان ضاغطًا للأمير محمد، وكان يولى تعذيب من يسخط عليه، ويبدع في ذلك مكارها يستعاذ بالله منها، وكان شديد القساوة، فظّا لا يعرف الرحمة، فله في شأنه أخبار معروفة(٢)" . يقول: [من مجزوء الرمل]

فـــــــكأني بعمير ... منك قد سل الحشاشة

أنت والله كما حـــا ... مت على النار الفراشة(٣)

ولئن التمس الدكتور محمد رضوان الدايـــة، محقـــق الـــديوان عـــذرا للشاعر (الغزال) في إبراز هذه الصورة" المشـــوهة" بقولـــه: (وإذا هـــاجم الفقهاء المقصرين، أو المشتغلين بقضايا لا تليق بهـــم، أو يجـــورون فـــي التصرف لأنهم بهذا يخالفون طبيعة عملهم .... يقول: أي امـــرئ إلا وفيـــه مقال(٤)).

---

(١) ديوان الشاعر ، ص٤٥.

(٢) الضاغط في الاصطلاح الأندلسي آنذاك هو المكلف بالتعذيب. انظر: ديوان الشاعر: ص٦٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فإني لا أجد في ذلك تبريرًا كافيًا؛ إذ كان الأولى بالشاعر أن يظهر الصورة الحسنة لمجتمعه، ويتحسس منابع الخير، ويشخصها، ويبرزها، ويدعو إليها، ومن ثم يعرِّج على الصورة المضادة بعتاب يسير أقل مما رأيناه في شعره من هجاء مقذع، وتهكم لاذع.

الوصف المجرد:

تكاد الصورة الواصفة المجردة في شعر (الغزال) تقتصر على الموضوعات المؤثرة في نفسه، والتي منبعها المحيط الاجتماعي الذي يعيش في كنفه.

وقد تجلى إبداع الشاعر في اهتمامه برسم صورة جامدة ومحركة في مواضيع اجتماعية مختلفة؛ مما يدل على اتساع ذهنه، وقدرته الباهرة على بلورة أفكاره في قوالب شعرية، معبرة عن البيئة المحيطة به.

وأكد بالصورة الواصفة المجردة تلك القصائد، والمقطعات، التي وصف فيها الشاعر قضية من قضايا مجتمعه، أو البيئة المحيطة به، مجردًا فيها من نزعته التشاؤمية، التهكمية، كما رأينا في النمط السابق[١] ومجردًا أيضا من النزعة الشاكية كما سنرى في النمط التالي[٢] وإنما يصف الحقائق كما هي، ولم أقل تجرد فيها من عواطفه تمامًا؛ ذلك أن عاطفة الشاعر ظاهرة في هذه القصائد والمقطعات.

فها هو يصف لنا حال طالب الرزق الحلال، وما يواجهه من مشقة، وتعب في جني ذلك المال يقول: [من الرجز]:

---

(١) انظر: النمط السابق الوصف المشوِّه للمجتمع، ص١٣.

(٢) انظر: النمط التالي وصف الأحداث المعنوية، ص٢٠.

طالب الرزق الحلال لا يقر

نهـــــــاره وليله على سفر

في الحرو البرد وأوقات المطر

ومـــــاله في ذلك نزر محتقر

إنّ الحـــلال وحده لا يَختمِر

أين ترى مالًا حلالا قد ثمر؟

ما إن رأينا صافيا منه كَثر![1]

ولعل في ذلك إشارة من الشاعر إلى قلة طالبي المال الحـــلال خاصـــة وأنه أكثر من ذكر أولئك الذين يجنون المال بدون تفريق أهو حلال أو حرام.

ولمسألة الغنى والفقر صدى في شعره، وربما يرجع ذلك إلى وجـــود الطبقية في مجتمعه، وإلى الحالة المادية المتردية الي كـــان يعـــيش فيهـــا الشاعر: (ويشهد معاصروه أنه كان قليـــل المـــال، مهمـــلا فـــي الأمـــور المادية)[2] يقول: [من الرجز]

إني حلبت الدهـــر أصناف الدرر

فمرة حـــــــــلو وأحيانا مُقَر

وعلقما حـــــينا وأحيانا صَبِر

وجلُّ مـــــا يسقيكه الدهر كَدِر

(١) انظر: ديوان الشاعر، ص٤٨، وبهجة المجالس وأنس المُجالس: ١/١٤٤.

(٢) انظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة: ص١٦٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فلم أجـــــد شيئا من الفقر أَمَر

ألا ترى أكـــــثر من فيها يَفِر

مخافة الفقـــــــر إلى نار سَقَر(١)

وفي نفس السياق (مسألة الغنى والفقـــر) يصـــف الشـــاعر ظـــاهرة اجتماعية في محيطه، مفادها: مبالغة أهل الثراء في بناء القبـــور، وإنفـــاق الأموال الطائلة على ذلك. يقول: [من الوافر]

أرى أهـــل اليسار إذا توفوا ... بنوا تلك المقـــابر بالصّخور

أبوا إلا مُباهـــــــاة وفَخرا ... على الفقراء حتى في القبور

فإن يكن التفاضل فـــي ذراها ... فإن العدل فيـــها في القُعُور

رضيـــت بمن تـأنَّق في بناء ... فبالغَ فيه تصـــريف الأمور

ألَّا يبصروا مـــا خربته الدُّ ... هور مـــن المدائن والقصور

لعمر أبيهم لـــــو أبصروهم ... لما عرفوا الغني مـــن الفقير

ولا عرفوا العبيد مـــن الموالي ... ولا عرفوا الإناث من الذكور

ولا من كان يلبس ثوب صوف ... من البَدَن المباشر للـــحرير

إذا أكـــــل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الكبير عـــلى الحقير(٢)

---

(١) انظر: ديوان الشاعر، ص٤٩، وبهجة المجالس وأنس المُجالس: ٢٠٨/١.

(٢) ديوان الشاعر: ص٦١.

ومن الصور الاجتماعية المجردة التي يطالعنا بها الشاعر وصف نظرة النساء تجاه الشيخ الكبير، وكأنها ظاهرة انتشرت في مجتمعه، ومن ذلك قوله: [من الوافر]

وخيرها أبوها بين شيخ ... كثير المال أو حدث فقير

فقالت: خُطَّتا خسف وما إن ... أرى من حظوة للمستخير

ولكن إن عزم فكل شيء ... أحبُّ إليَّ من وجه الكبير

لأن المرء بعد الفقر يُثري ... وهذا لا يعود إلى الصغير(١)

وقال يصف الحان، وربَّه، وخمره، ويبدو أنه مستحسن له، يقول: [من الطويل]

ولما رأيت الشرب أكدتْ سماؤهم ... تأبطت زِقِّي واحتسبت عنائي

فلما أتيت الحان ناديت ربه ... فثاب خفيف الروحي نحو ندائي

قليل هجوع العين إلا تعلّة ... على وجل مني ومن نظرائي

فقلت: أذقنيها فلما أذاقها ... طرحت عليه ريطتي وردائي(٢)

وهذا ولم يترك الشاعر ذلك حتى رسم لنا لوحة شعرية عن البيئة المحيطة بذلك المجتمع، فأخرج لنا صورة فنية رائعة يصف لنا البحر، وركوب السفينة وقد قابلته العواصف. يقول: [من مجزوء الرمل]:

قال لي يحيى وصرنا ... بين موج كالجبال

(١) ديوان الشاعر ، ص٦٢

(٢) المصدر السابق، ص٢٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتولتنا ريـــــــاح ... مـــن دَبُور وشـــمال

شَقَّت القِلعَين وانبـتَّت ... ـتَّت عـرى تلك الجبال

وتمطَّى مـــلك المـــو ... ت إلينـــا عـــن حِيال

فرأينا الموت رأي الـ ... عين حـــــال بعد حال

لم يكن للقوم فيـــنا ... يا رفيقي رأسُ مـــال(١)

وفي الجملة كان" الغَزَال" بارعًا في وصفه، مقتدرًا على إيصال الصورة الموصوفة بكل تفاصيلها للقارئ، متناولًا الجوانب الاجتماعية مثـل: طلـب الرزق الحلال، ومسألة الغنى والفقر، والفقراء، وظواهر اجتماعية من مثل: زواج الرجل الكبير بالفتاة الصغيرة، وظاهرة شرب الخمر، وانتشار الحانات كما تناول البيئة المحيطة بشيء من شعره بأسلوب قصصي رائع.

وصف الأحداث المعنوية: الكِبَر والشيب [نموذجًا]

تجثم الدنيا بثقلها على المرء عندما يطول به العمر، وغرب عنه ميعة الشباب، وودّع مراحل القوة، والهمّة، والفتوّة، فلا يجد في سبيل ذلك إلا أن يبث همومه، وغمومه لمن حوله، وبما حوله، فتارة يشكو الوحدة وضيقها، وأخرى يشكو الدنيا وأثرها، وتارة يشكو الجسد وما يتعللـه مـن أمـراض وأوجاع.

وإذا كان المرء شاعرًا فإن الأمر لا يختلف كثيرًا اللهمَّ من صياغة ذلك الإحساس في قالب شعري، يساعده في ذلك إلهامه، وقدرته علـى تجسـيد

(١) ديوان الشاعر، ص٧١.

المعنويات وإبرازها في صورة ماثلة، شاخصة، وعن هذا قال زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم[١]

وإنما قدمت بهذه المقدمة؛ لأبين أن الصورة الشاكية لم تظهر عند الشاعر(الغَزَال) إلا في مرحلة متأخرة من عمره، عندما غرزت الشيخوخة أنيابها بعد وهج الشباب، وتلك الروح التي تميل إلى الدعابة والسخرية.

وكعادة الشاعر لا بد أن يُقحم مجتمعه في أغلب شعره حتى في هذه المرحلة فقد صور ذلك المجتمع بأنه حاسد له على عمره الممتد، كما يصف لنا حالة الغربة التي يعيشها الشاعر بين ذلك المجتمع يقول: [من البسيط]

أصبحت والله محسودا على أمد من الحياة قصير غيرِ ممتد
حتى بقيت بحمد الله في خَلَف كأنّني بينهم من خَشية وحدي
وما أفارقُ يوما من أفارقُه إلا حسبتُ فراقي آخر العهد
انظر إليَّ إذا أُدرجتُ في كفن وانظر إلىَّ إذا أدرجتُ في اللَّحد
واقعد قليلا وعاين من يقيم معي ممن يُشيِّع نعشي من ذوي وِدِّي
هيهات كلُّهُم في شأنه لَعِب يرمي التُّراب ويحثوه على خدِّي(٢)

" ويبدوا أن الشيخوخة فعلت فعلها في نفس الغزال، ومزجت نظرته إلى الحياة بمرارة شديدة، بعد أن كانت سخريته تريحه، ثقلت عليه وطأة

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١١٠.
(٢) انظر: ديوان الشاعر: ص٤٦-٤٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السنين وكان من جراء ذلك أن امتزج شعره بالموعظة، واتجه اتجاهًا زهديًا...."[١]

ولئن كان الوهن قد تملك الشاعر في القطعة السابقة، فإنه يطل علينا من نافذة التفاؤل مستخدمًا براعته في وصف صورة جميلة عن ذلك الضيف غير المرحب به عند كثير من الناس(الشيب) موظفا ملكته الشعرية في إبراز هذه الصورة متقويًا بسلاح التشبيه والاستعارة (ما الشيب... إلا كشمس.، فإنما هو زهرة الأفهام والألباب)

وقد أورد المقري عن أبي الخطاب ابن دحية أن الغزال أُرسل إلى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين، وقد وخَطَه الشيب، ولكنه كان مجتمع الأشد، فسألته زوجة الملك يومًا عن سنِّه، فقال مداعبا لها: عشرون سنة، فقالت: وما هذا الشيب ؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم تري قَطُّ مهراً ينتج وهو أشهب؟ فأُعجبت بقوله، فقال في ذلك قصيدة مطلعها:

كُلِّفت يا قلبي هوى متعبا غالبت منه الضَّيغم الأغلبا

قال: ولما فهَّمَها الترجمان شعر الغزال ضحكت، وأمرته بالخضاب، فغدا عليها وقد اختضب وقال:[٢] [من الكامل]

بكرت تحسن لي سواد خضابي فكأن ذاك أعادني لشبابي

ما الشيب عندي والخضاب لواصف إلا كشمس جللت بضباب

تَخفى قليلا ثم يقشعها الصبا فيصير ما سترت به لذهابي

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ١٦٨.

(٢) بتصرف يسير من نفح الطيب: ص٢٥٨،٢٥٧، والمطرب في أشعار أهل المغرب، ص١٤٦.

لا تنكري وضح المشيب فـــإنما هو زهرة الأفهـــــام والألباب

فلدي ما تهوين من شأن الصبـــا وطلاوة الأخـــــلاق والآداب(١)

في القطعة حسن تعليل للشيب، ومحاولة لقلب ما شكا منه الشـــعراء- خاصة- وجمهرة الناس عامة، من سوء نذير الشيب؛ فلذلك قول الشاعر" لا تنكري وضح المشيب....إلخ"...

وأتقن (الغَزَال) الكلام في هذا الموضوع، لأنه قد أَلِف الشيب؛ لامتـــداد عمره واتصال زمانه(٢).

(١) انظر: ديوان الشاعر،ص٣٩،٣٨.

(٢) بتصرف من المصدر السابق: ص٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

موقع اللغة في وصف المجتمع

تعتبر اللغة من أهم الدعائم الأساسية التي يرتكز عليها أي عمل أدبي؛ فبعد أن تتبلور الأفكار في ذهن الأديب، يستطيع من خلالها أن يقولب تلك الأفكار ويوصلها إلى العالم الخارجي.

ولا بد من الاعتناء باللغة في أية تجربة شعرية؛ ذلك أن الشعر " الشعر في المقام الأول فعل لغوي، وهو فن أداته اللغة، وهي موطن اللذة فيه؛ بل إن اللغة في الشعر هي الوسيلة والغاية في آن واحد، وهي الجسد الذي يعبر عن روح التجربة الشعورية، ومن هذا المنطلق كان اهتمام النقاد بها كبيرًا في الماضي والحاضر"(١).

من هنا نستطيع أن نقرر أن التجربة الشعرية في أساسها تجربة لغة، والشاعر في محاولته المستمرة للكشف عن جوانب جديدة في الحياة، بما فيها من قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية ... وغيرها، يحاول باستمرار الكشف عن لغة جديدة إذ إن لكل تجربة لغتها الخاصة المرتبطة بتطور الصورة الذهنية لدى صاحب تلك التجربة، وذلك التطور مرتبط في الأساس بظروف معينة، وأفكار وتصورات وآراء وقضايا تتشكل باستمرار شكلا يتناسب مع واقع الحياة المتغير.(٢)

---

(١) لغة الشعر السعودي الحديث، د: هدى صالح الفايز:٧، النادي الأدبي بالرياض- المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.

(٢) انظر: لغة الشعر العربي الحديث، د. السعيد الورقي:٨٢، مطبعة الجيزة بالإسكدرية، مصر- الإسكندرية ، ط١، ١٩٧٩م.

وإذا تحدثنا عن اللغة الشعرية فإننا نعني اللغة الأدبية الراقية التي لا تقف عند مجرد توصيل المعنى، بل تهتم بتجميل العبارة عن طريق العاطفة الصادقة، والموسيقى المؤثرة، والإيقاع الذي يهز المشاعر، والصورة الموحية المعبرة التي تداعب الخيال وتسمو به؛ ليكتشف الآفاق الرحبة التي يصل إليها الشاعر المرهف الحس، ذو الخيال المبدع.(١)

وذلك كله يعني أن اللغة هي الأداة الأساسية لأية تجربة إبداعية؛ وهي تألف من جسد يَمثل شكلها الخارجي بما يحتويه من ألفاظ وسياقات تركيبية لها دلالاتها المتعددة، وروح تمثّل لبّ ذلك العمل وما ينطوي تحته من معان وصور وأخيلة.

الألفاظ:

الغرابة والإلف:

من خلال قراءتي المتأنية لديوان يحيى بن حكم الغزال، وجدت أن ألفاظه في مجملها مألوفة مفهومة، سهلة واضحة، مبرّأة من الوعورة، والغرابة، والتكلف، قريبة الدلالة شائعة الاستعمال، ملائمة لموضوعها ولا عجب في ذلك فالألفاظ لبوس المعاني، ولا نكاد نجد كلمة تحتاج إلى شرح إلا ما جاء عارضاً مع استجلاب نظمها. ومن ذلك قوله: [من الطويل]

قصدت بمدحي جاهداً نحو خالد أؤمل من جدواه فوق منائي
فلم يحملني من ماله غير درهم تكلفه بعد انقطاع رجائي

(١) انظر: تحليل النص الأدبي، محمد المصري، ومجد البرازي: ١٦، مؤسسو الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، د.ط، ٢٠٠٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما اقتلع الحجم ضرساً صحيحة إذا استخرجت من شدة ببكاءِ(١)

فلو أمعنا النظر في كلمات هذه الأبيات من مثل: / قصـــدت، بمـــدحي، منائي، رجائي، الحجام، ضرساً...

لوجدناها كلمات مألوفة سهلة، تتسم باليسر خالية من الغرابة، بل هي قريبة من الحديث اليومي العادي، وقد جاءت ملائمة للمعنى من خلال تلـــك الصورة الساخرة المضحكة من ذاك الرجل الذي اسمه خالد ومما يدلل على سهولة ألفاظه، وإلفها قوله: [من الكامل]

لم أنس إذ برزت إلي لـــعوب طرباً وحيث قميصها مقلوب

وكأنها في الدار حين تعرضت ظبي تدلَّه بالفـــلا مرعوب

تفترُّ عن دُرٍّ تنساق نظـــمه فيه لثاة عـــــذبة وغروب(٢)

فلو نظرنا إلى الألفاظ لوجدناها مألوفة، عبر الشاعر من خلالها عـــن أفكاره، ومشاعره، وهنا برزت براعته؛ حيث استخدم ألفاظاً عادية فألبســـها طاقة شعرية لا نجدها عندما ننظر إليها خارج هذا الســـياق، وقـــد جـــاءت ملائمة للموضوع الذي طرقه في وصف جاريته لعوب.

ومن ذلك قوله: [من الرّجز]

طـــــالب الرزق الحلال لا يقر

نـــــــهاره وليله على سفر

في الحر والبرد وأوقات المطر

(١) انظر ديوان الشاعر، ص٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤.

ومـــــاله في ذاك نزر محتقر(١)

عندما ننظر إلى ألفاظ هذه القصيدة مثل: (طالب، الرزق، نهاره، ليله، البرد، الحر، المطر). نجدها- أيضا- ألفاظاً مألوفة سهلة، كأنهـا الحـديث اليومي العادي، وقد عبر الشاعر من خلالها عن حالة طالب الرزق الحـلال وقد جاءت ملائمة لحالة المجتمع الذي يميل إلى السهولة.

ومن ذلك قوله: [من الوافر]

أرى أهل اليسار إذا تُوفوا	بنو تلك المقـابر بالصُّخور
أبوا إلا مباهاة وفـخراً	على الفقراء حتى في القبور
فإن يكن التفاضل في ذراها	فـإن العدل فيها في القعور
إذا أكل الثرى هـذا وهذا	فما فضل الكبير على الحقير(٢)

فالناظر في ألفاظ هذه الأبيات من مثل: (اليسار، المقـابر، المباهـاة، الفقراء، القبور، ذراها، الثرى)، يجدها ألفاظاً سهلة عادية واضحة المعـاني خالية من الغرابة، وقد جاءت ملائمة للموضوع الذي طرقه الشاعر وصـور فيه فئة من المجتمع وهم أهل اليسار والثراء.

وهكذا نجد أن سهولة الألفاظ، وقرب مراميها، كانت السـمة العامـة لشعر الغَزَال، وهذا شأن معظم شعراء الأندلس فهم بطـبعهم ميـالون إلـى اليسر، ولم يكن الشاعر الغَزَال بِدعاً بينهم، وأما الغرابة في شعره فقد جاءت

---

(١) انظر: ديوان الشاعر، ص٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص٦١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لماماً وحسب ما يستدعيه المعنى والفرض الشعري، ولم تكن ظاهرة في ألفاظ شعره.

وعلى كلٍّ: فالشاعر المبدع تبرز مهاراته في حسن اختياره لألفاظه، وجودة صياغتها في التراكيب؛ بحيث تكون ملائمة للموضوع المطروق، مبرأة من التنافر والحواشي؛ وذلك لما للَّفظ الجميل الرشيق من أثر في النفوس، وهيمنة على القلوب، تميل له الأسماع وتطرب له الآذان.

ولا يشترط أن يتخذ الشاعر صفة التقليد في انتقاء ألفاظه واختيارها؛ ليصل إلى قمة الإبداع، بل إن لكلٍّ حريته في اختيار كلماته وألفاظه شريطة الملاءمة والإجادة؛ ذلك أن "لكل أديب حدسا فنيًّا ورغبة يتألفان لخير كلمات ذات صلة خاصة بجزيئات أو بأطراف يؤكد عليها، أو تنتمي إلى جوّ أو بيئة تخالط كل ما يتطرق إليه الكاتب، وقد يولع بعضهم بعوالم قديمة يستمد منها ألفاظه، ويلتفت آخرون إلى المعجم القريب المعاصر لهم، مما تطور وتغير من دلالات اللغة".(١)

التراكيب:

إن تناول الظواهر التركيبية البارزة بأنواعها المختلفة في الشعر يسهم في الكشف عن خصوصية التركيب في العمل الأدبي، وعن كيفية تعامله مع القواعد النحوية والأساليب البلاغية، وعن مدى إسهام تلك التراكيب في إنتاج الدلالة؛ إذ لم يعد البناء التركيبي في الشعر نوعًا من الحذلقة الفنية بل استجابة لضرورة التعبير عن الرؤية الشعرية الحديثة .(٢)

(١) جماليات الأسلوب، د. فايز الداية:٢٢، دار الفكر المعاصر، دمشق- سورية، ط٢، ١٤١٦هـ.
(٢) انظر: عن بناء القصيدة الحدثية، د. علي عشري زايد:٢٤،مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

وقد استخدم الشاعر كثيراً من الأساليب والتراكيب الشائعة في اللغة العربية متمثلة في تراثها القديم، ولكن كان استخدامه للتراكيب اللغوية الشائعة فيه أكثر نسبيًّا من غيرها، فهو يأتي بصوره وتراكيبه من ذاكرته اللغوية والحياتية.

والدارس لشعر(الغَزَال) يجد تراكيبه في الغالب الأعم قصيرة رشيقة، خالية من الحشو والتكرار المخل، ولا عجب في ذلك فقد بنى هذه التراكيب من تلك الألفاظ والتي عرفناها آنفاً والتي اتسمت باليسر والرشاقة ودقة الدلالة على المعاني وملاءمتها للمواضيع التي طرقها.

ومن ذلك قوله: [من الطويل]

ولما رأيت أكدت سماؤهم تأبطت زِقِّي واحتسبتُ عَنائي

فَأبت إلى صحبي ولم أك آبياً فكلٌّ يفديني وحُقَّ فدائي(١)

فالناظر في هذه التراكيب من مثل: لما رأيت الشرب، أكدتْ سماؤهم، تأبطت زِقِّي، احتسبت عنائي، فأبت إلى صحبي، ولم أك آبيا، فكل يفديني، حق فدائي....، يجدها قصيرة متوازنة، واضحة الدلالة، ملائمة لقواعد الجملة العربية خالية من الحشو، وهي تصور فئة من أبناء الأندلس قد مالوا لشرب الخمر.

وقد يعمد الشاعر إلى التكرار غير المخل مع طولٍ من غير حشو ومن ذلك قوله: [من الطويل]

أأنسى؟ ولا أنسى عناقك خالياً وضَمِّي، ونقلي نظم دُرٍّ وجوهر

(١) المصدر السابق، ص٢٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فوا حزني أن فرق الدهر بيننا وكدَّر وصلاً مـــنكِ غيرُ مكدر

سلام ســـلام ألف ألف مكرر ويا حـــاملاً عني الرسالة كرِّ(١)

إن الدارس لهذه التراكيب/ أأنس؟ ولا أنس، عناقك خالياً، فواحزني أن فرق الدهر بيننا، سلا سلام، ألف ألف مكرر.....إلخ. يجد تكراراً ولكنه غير مخل، مع المحافظة على تماسك الجمل، ويجدها تُصور انغمـــاس المجتمـــع الأندلسي في الترف والمجون.

الإيقاع الداخلي:

على الرغم من أهمية الموسيقا الخارجية وما تمنحه من إبداع، ومـــا تحدثه من جرس ونغم صوتي يجذب المتلقي، إلا أن هناك نوعاً آخـــر مـــن الإيقاع ينبعث من الحروف والكلمات ووسائط الـــربط بينهـــا؛ لتؤلـــف فـــي مجموعها الجمل والتراكيب المتناغمة، والصور المتآزرة(٢).

وكما حرص الشاعر على الاعتناء بالإيقـــاع الخـــارجي فـــي الـــوزن والقافية، حرص أيضا على إيجاد نوع من التناغم في الموســـيقا الداخليـــة لقصائده؛ وذلك عن طريق توظيف بعض المحسنات البديعيـــة، والاســـتعانة ببعض الحروف التي تحدث نغمًا مميزًا.

لقد كان الشاعر حريصاً على الإيقاع الداخلي، وذلك من خلال استخدام الألفاظ التي لها جرس متميز، واستخدام التشكيلات البديعية التي تحدث نغمة داخلية.

---

(١) ديوان الشاعر،ص٥٥.

(٢) انظر: الهمس في الشعر الحديث، أ.د. عبدالرحمن الهُليّل، مكبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـــ.

ومن ذلك قوله: [من البسيط]

جرداء، صلعاء، لم يبق الزمان لها ... إلا لساناً مُلحـــــاً بالملامات

لطمتها لطمة طارت عمامتهـــا ... عن صلعة ليست فيها خمس شعرات

كأنها بيضة الشاري إذا أبرقـــت ... بالمأزق الظنك بين المشرفيـــات

لها حروف نوات في جـــوانبها ... كقسمة الأرض حيرت بالتُّخومـات(١)

فعندما نقرأ هذه القصيدة بصوت مسموع نجد نغمات هادئة، تحـدثها حروف المد في تداخلها مع الحروف وتواليها في أبيات القصيدة، فلننظـر إلى الوقفة في نهاية كل بيت عند حرف التاء الذي يـوحي برسـم صـورة مضحكة ساخرة لتلك المرأة ومن ذلك قوله: [من الخفيف]

ريع قلبي لَّما ذكرت الديارا ... وتَنوَّرت بالنخيـــلات نارا

وازدهتني ذات السنا ببروق ... من لظاها فما أطيق اصطبارا

والقريح الفؤاد يزداد للنـار ... وميض السعير منها استعارا(٢)

نجد أصوات الحروف تُمثل حالة الحزن والألـم عنـد الشـاعر فهـي عبارات موحية مفعمة بالحزن من مثـل/ ريـع قلبـي نـارا، فمـا أطيـق اصطبارا... السعير منها استعارا...

ثم هناك حروف المد المتداخلة، والمتتالية، التي تحدث تلـك النغمـة الحزينة، ومن ثم اختيار الشاعر لقافية الراء التي تليها ألف الإطلاق لتُعبِّـر عن مكنون فؤاده، وما يعتمل به من شدة الحـزن ونجـد هنـاك الأصـداء

(١) الهمس في الشعر الحديث ، ص٤٢.

(٢) انظر: ديوان الشاعر، ص٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الموسيقية المنبعثة من الجناس الذي يحدث تجاوباً موسيقياً صادراً من تماثل كل كلمتين. مثل: (ديارا، نارا، السعير، استعارا) كل ذلك كان له الأثر في إحداث موسيقى داخلية قادرة على التعبير عن نفسية وعاطفة الشاعر الحزينة.

الأساليب:

من المعلوم أن الأسلوب هو طريقة التعبير عن القضايا التي يريدها الشاعر، ولقد راوح الشاعر في تعبيره بين الخبر والإنشاء وكان الخبر هو الغالب في العموم.

الخبر: هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته باعتبار الواقع وبغض النظر عن قائله، يستثني من تعريف الخبر المتقدم كلام الله عز وجل وما صح من أقوال الرسول–صلى الله عليه وسلم– فهذا كله صدق قطعياً(١).

وعندما نمعن النظر في ديوان الشاعر نجده ميالًا للأسلوب الخبري بأغراضه المتنوعة.

ففي قوله: [من الطويل]

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤهم تأبطت زقي واحتسبت عناني(٢)

نجد فيه خبراً ابتدائياً وهو ما يلقى للمخاطب الخالي الذهن حيث جاء خالياً من المؤكدات من خلال تَمثُّل قضية اجتماعية وهي شرب الخمر.

(١) بتصرف من : جواهر البلاغة س٥٣.

(٢) انظر: ديوان الشاعر، ص٢٩.

وقد يكون الغرض من الخبر فائدة الخبر عندما يكون المخاطب جاهلاً للحكم الذي تضمنه الخبر ومن ذلك قوله: [من الكامل]

أنا شاعر أهوى التخلي دون ما زوج لكيما تخلص الأفكار(١)

وفي قوله: [من الطويل]

وقد حدثوني أن فيها مرارة وما حاجة الإنسان في الشرب للمر(٢)

خبر إنكاري يُلقى للمخاطب المنكر لمضمون الخبر وقد أكده بمؤكدين هما: (قد، أنَّ) وقد وظفه في إظهار في ترفعه عن شرب الخمر.

وقد يكون الغرض من الخبر لازم الفائدة عندما يكون المخاطب عالماً بالحكم ومن ذلك قوله: [من الكامل]

الناس خلق واحد متشابه لكنَّما تتخالف الأعمال(٣)

الإنشاء: هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب.

وهو نوعان:

- طلبي: وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.
- غير طلبي: وهو مالا يستدعي مطلوباً في الأصل(٤).

ومن الإنشاء في أسلوب الشاعر، قوله: [من مجزوء الرمل]

---

(١) ديوان الشاعر: ص٥٦.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٥٨.
(٣) المصدر السابق: ص٦٦.
(٤) بتصرف من بغية الإيضاح، ٢٨/٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قلـــــــت: هل تألم شيئاً؟ قـــــال: أثقـــــال الذنوب(١)

فالجملة الإنشائية هي: هل تألم شيئاً؟ وهو إنشاء طلبي.

ومنه كذلك: [من مجزوء الرمل]

قـــــــلت لا تعن بشيء أنت فـــي قـــــــالب ذيب(٢)

فالجملة الإنشائية: لا تعن: وهي إنشاء طلبي.

ومن الإنشاء الطلبي قوله:[من الطويل]

ألست ترى أن الزمان طواني وبدل خـــــلقي كله وبراني(٣)

فالجملة الإنشائية هي(ألست ترى...) وهو إنشاء طلبي.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى منها: التمني ومنه قوله: [من السريع]

من مبلغ عني إمـــام الهدى الوارث المجد أباً عـــــن أب(٤)

ومن الإنشاء غير الطلبي قوله: [من الطويل]

فوالله ما برئت يميني ولا وفت له غير أني ضـــــامن بوفائي(٥)

ومن الإنشاء غير الطلبي كذلك قوله: [من الطويل]

لعمري ما ملكت مقودي الصبا فأمطو للذات في السهل والوعر(٦)

---

(١) انظر: ديوان الشاعر، ص٣٥.
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق، ص٧٩.
(٤) المصدر السابق، ص٤٠.
(٥) انظر: المصدر السابق ، ص٢٩.
(٦) المصدر السابق، ص٥٧.

وقد وظف ذلك في قضاياه الإنسانية والنفسية وما يقدح في قلبه من مشاعر وأحاسيس.

التضاد الطباق: هو الجمع بين الشيء وضده وهو نوعان: طباق الإيجاب، وطباق السلب(١)

إن الدارس لديوان يحيى بن حكم الغزال يجد أن المحسنات البديعية قد جاءت قليلة، وبقصر واعتدال، وهذه براعة من الشاعر لأنها إن زادت على الحد انقلبت إلى الضد وكانت صنعة مستكرهة متكلفة. ومن ذلك في قوله: [من الطويل]

فأبت إلى صحبي ولم أك آيباً فكل يفديني وحق فدائي(٢)

في البيت طباق سلب بين (فأبت، ولم أك آيباً).

ومن ذلك قوله: [من الخفيف]

فرأيت الرقاب من اهله ذلت وعزت من آخرين رقاب(٣)

ففي قوله(ذلت، عزت) طباق إيجاب.

ومن ذلك قوله: [من السريع]

وأصبح المشرق من شوقه إليك قد حنَّ إلى المغرب(٤)

ففي قوله(المشرق، المغرب) طباق إيجاب.

---

(١) انظر: جواهر البلاغة ، ص٣٠٣.
(٢) انظر: ديوان الشاعر، ص٢٩.
(٣) المصدر السابق، ص٣٧.
(٤) المصدر السابق، ص٤١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن ذلك قوله: [من السريع]

إن ترد المال فـإني امرؤ لـم أجمع المال ولم أكسب(١)

ففي قوله(ترد المال، لم أجمع المال) طباق سالب.

ومن ذلك قوله: [من البسيط]

يا غادراً لم يزل بالغدر مرتدياً أين الوفاء أبن لي غير محتشم(٢)

ففي قوله(الغدر، الوفاء) طباق إيجاب.

وعندما نمعن النظر في هذا التضاد نجد الشاعر قد استثمره ووظفه في قضايا تدور حول الإنسان من حنين وشوق وجمع للمال...الخ.

التناص: (الاقتباس والتضمين ونحوهما).

التضمين: وهو أن يُضمن الشعر من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكون مشهورًا عند البلغاء(٣).

ومن خلال قراءتي لهذا الديوان وجدت أن التضمين لدى الشاعر قليل جداً، بل نادر؛ وهذا- في رأيي- دليل على غزارة ثقافته وعدم حاجته للآخرين.

ومن ذلك قوله: [من الطويل]

فأبت إلى صحبي ولم أك آيبًا فكل يفديني وحق فدائي(٤)

---

(١) ديوان الشاعر. ص٣٦.
(٢) المصدر السابق ، ص٧٥.
(٣) انظر: بغية الإيضاح، ١١٩/٣.
(٤) انظر: ديوان الشاعر، ص٢٩.

لعله مستفاد من قول تابط شراً:

فأبت إلى فهم وما كدت آيبًا وكم مثلها فاقتها وهي تصفر(١)

ومن ذلك قوله: [من الكامل]

لا تنكري وضح المشيب فإنما هو زهرة الأفهام والألباب(٢)

لعله مستفاد من قول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي(٣)

ومن ذلك قوله: [من الوافر]

ومن إنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليست تفوح

فلو فاحت لأصبحنا هروباً فرادي بالفلا ما نستريح(٤)

لعله مستفاد من قول أبي العتاهية:

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح

فإذا المستور منا بين ثوبيه فضوح(٥)

ومنه قوله: [من الطويل]

يحق الهوى أقر السلام على التي أهيم بها عشقاً إلى يوم محشري(٦)

لعله مستفاد من قول عبدالرحمن الداخل:

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي(٧)

---

(١) انظر: حماسة أبي تمام: ١/٤١.
(٢) انظر: ديوان الشاعر، ص٣٩.
(٣) انظر: ديوان أبي تمام، ٢/٣٨.
(٤) انظر: ديوان الشاعر: ص٤٣.
(٥) انظر: الأغاني: ٤/١٠٨.
(٦) انظر: ديوان الشاعر، ص٥٥.
(٧) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٣/ ٢٠٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد ضمن الشاعر كلامه شيئاً من شعر المشاهير ليزيد كلامه قوة، وليبدي مهارته بوصل شعره بغيره دون تكلف؛ ولا ريب أن هذه براعة منه؛ ليبرز من خلال ذلك قضايا ذاتية وأخرى اجتماعية.

وأما الاقتباس: وهو أن يضمن الشاعر أو الناثر كلامه شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشير إلى أنه منهما(١).

وإذا أمعنا النظر في ديوان بحبى الغزال نجد أن الاقتباس جاء قليلاً.

ومن ذلك قوله: [من الطويل]

له ظلمات بعضها فوق بعض دآدئ موصول بهن دآدئ(٢)

فهو مقتبس من قوله تعالى: (أو كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوق سحاب ظلمات بعضها فوق بعض... الآيه)(٣)

ومن ذلك قوله:

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال(٤)

فهو مقتبس من قوله تعالى: (وهي تجري بهم في موج كالجبال...الآية)(٥).

وقد يلجأ الشاعر إلى الاقتباس؛ ليزيد رونق كلامه قوة، وذلك بما يضفيه عليه النص القرآني من قوة وجلال.

---

(١) انظر: البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين، ص٢٦٩.
(٢) انظر: ديوان الشاعر، ص٤٦.
(٣) سورة النور، آيه٤٠.
(٤) انظر: ديوان الشاعر، ص٧١.
(٥) سورة هود ، آيه ٤٢.

خاتمة

وفيها ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

- تناول الشاعر في شعره جوانب اجتماعيه مثل: طلب الرزق الحـــلال والغنـــى والفقر، والفقراء، وظواهر اجتماعية مثل: زواج الرجل الكبير بالفتاة الصغيرة، وظاهرة شرب الخمر وغيرها وكان الأسلوب القصصي والحواري، مهيمناً في ذلك، كما تناول الشاعر عددًا من الأحاديث المعنوية فوصفها وأخرجها إخراجا جديدا مثل: وصف الكِبَر والشيب.
- أظهر الشاعر مجتمعه في صورة مشوهة- فيما ظهر لي من خلال شعره- ولم يتحسس منابع الخير، ويشخصها، ويبرزها، ويدعو إليها، إذ كان الأولـــى بـــه ذلك.
- راوح الشاعر في تعبيره بين الخبر والإنشاء، وكان الخبر غالبًا في أســـلوبيه، كما أن التضمين كان نادرًا مما يدل على غزارة ثقافته.
- اتسمت التراكيب عنده بالتوازن، والخلو من الحشو، والتكرار إلا ما جاء نادرًا.
- سهولة الألفاظ وإلفها وقرب مراميها كانت السمة العامة لشعر(الغَزَال).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبت المصادر والمراجع :

- الأعلام، خير الدين محمد الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، أيار، مايو٢٠٠٢م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط٢،د.ت.
- الأدب العربي في الأندلسي، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٧٦م.
- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١١، ١٣١٦هـ،١٩٩٦م.
- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- البلاغة الواضحة، على الجارم وأحمد أمين، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، د.ت.
- بهجة المجالس وأنس المجُالس وشحذ الذاهن والهاجس، ابن عبدالبر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨١م.
- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨٥م.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم الأندلس، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزوي المعروف بابن القرضي، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- جذوة المقتبس، أبي عبدالله: محمد بن أبي نصر الأزدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، ١٩٦٦م.
- جماليات الأسلوب، د. فايز الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق- سورية، ط٢، ١٤١٦هـ.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٩م.
- ديوان أبي تمام، شرح: الخطيب التبريزي، تقديم: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ديوان يحيى بن حكم الغزال، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- شرح ديبوان الحماسة، أبو تمام، شرح الخطيب البريزي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ط، ٢٠٠٨م.
- الشعر الأندلسي في ظلال الخلافة الأموية، د. عبدالعزيز العواد، مطابع بحر العلوم، العليا، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- لغة الشعر السعودي الحديث، د. هدى صالح الفايز، النادي الأدبي بالرياض، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية: عمر بن حسن. تحقيق: إبراهيم الإبياري، وحامد عبدالمجيد، وأحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ط، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
- نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- نهاية الأربفيفنونالأدب، شهاب الدين:أحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق: مفيد قميحة، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١،١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م.
- الهمس في الشعر الحديث، أ.د.عبد الرحمن الهليل، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٠٣١٥
٢.	Abstract	١٠٣١٦
٣.	المقدمة	١٠٣١٧
٤.	تمهيد	١٠٣١٩
٥.	المبحث الأول : أنماط وصف المجتمع لدى الشاعر	١٠٣٢٢
٦.	المبحث الثاني : موقع اللغة في وصف المجتمع	١٠٣٣٦
٧.	خاتمة	١٠٣٥١
٨.	ثبت المصادر والمراجع:	١٠٣٥٢
٩.	فهرس الموضوعات	١٠٣٥٤